﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [آل عمران: 120]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الآيةُ استمرار لبيانِ صفات وأحوال أولئك الذين نهى الله المؤمنين، أن يتَّخذوهم أولياءَ من دون المؤمنين، فبعدَ أنْ كشفَ خبايا نفوسِهم، وما يخفونه في صدورهم من الحِقد على أهلِ الإيمان، قدَّم هُنا صورةً من المقابلة بين الحالين؛ حال المؤمنين تُجاههم، وحالهم تُجاه المؤمنين، فقال: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾؛ لتُختَمَ الآيةُ بدلائل إحاطةِ الله بأحوالِ النَّاس.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَمۡسَسۡكُمۡ﴾: جذر الكلمة هو (مَسَس)؛ والمسُّ وضعُ اليد على الجسم كاللَّمس، وهو في الأصل: جسُّ الشَّيء باليد، والمسُّ يقال فيما يكونُ معه إدراكٌ بحاسَّة اللَّمس، ويُستخدم للخير أو للشرِّ، ويُكنَّى به عنِ النِّكاح والجنون. ويقال: لا مِساس ولا مَساس، أَي لا أَمَسُّ ولا أُمسُّ. وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ [البقرة: 275]، أَي من الجنون، يقال: به مَسٌّ، وقد مُسَّ فهو ممسوس. وقوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾ [القمر: 48]، جَعَل للمسِّ مَذَاقًا؛ كما يقال: كيف وجدتَ طعم الضرب؟ ويقال: وجدت مسَّ الحُمَّى، أَي: أَوَّل ما نالني منها. ويقال: مسَّه الكبر والمرض، ومسَّه العذاب، ومسَّه بالسّوط.[1].

2) ﴿تَسُؤۡهُمۡ﴾: جذر الكلمة هو (سَوَأَ)؛ وساء الشّيءُ: قَبُح فهو سيّءٌ، والسُّوء: اسم جامعٌ للآفات والدَّاء، ونعتٌ لكلِّ شيء رديءٍ. وتقول: ساء ما فعل فلان صنيعًا. والمعنى المحوريُّ: عيبٌ أو قبحٌ أو فسادٌ أو مرضٌ يخالط ظاهرَ الشيء أو باطنَه، كالبَرَص والمرَض، وفسادِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المُفردات، والزّمخشريّ، أساس البلاغة، وابن سيده، المُحكم، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: (مسس).

العمل، ومن ذلك: السَوْأَةُ: فَرْجُ الرجل أو المرأة؛ لأنَّ الفطر السليمةَ تستقبحُ ظهورَها، قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ [طه: 121]، و(سَاءَهُ) ضِدُّ سَرَّهُ. وَقُرِئَ: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح: 6]، بِالضَّمِّ[1]؛ أَي الْهَزِيمَةُ وَالشَّرُّ، وقَوْله تَعَالَى: ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ [طه: 22]؛ أي مِنْ غَيْرِ بَرَصٍ. وكلُّ ما ورد في القرآن الكريم من: (ساء)، و(ساءت) فهي بمعنى (قبُح)، وكذلك (أَسَاءَ)، و(أسأتم) و(أساءوا) هنَّ بمعنى ارتكاب القبيح من الأعمال دينيًّا. ويتلوَّنُ المعنى قليلًا لكن في نطاق القُبْح، مثل: ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ ﴿نَسُؤْهُمْ﴾ بمعنى: تَشِنْكم، تَحْزُنْهم، و﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: 7]، أي: يَشِينونها بما يوقعون بكم، و﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [هود: 77، العنكبوت: 33] حَرِج صدرُ لوطٍ عليه السلام وتوجَّسَ العارَ والمهانة؛ خشيةَ ارتكاب قومه الفاحشةَ مع ضيوفه[2].

3) ﴿كَيْدُهُمْ﴾: جذر الكلمة هو (كَيَد)؛ الكَيْد: في اللُّغة يدلُّ على معالجةٍ لشيءٍ بشدَّة، والكَيْدُ من المكيدة، وهو ضربٌ منَ الاحتيال، وقد يكونُ مذمومًا، وقد يكونُ ممدوحًا، ويُستعملُ في المذموم أكثر. فالذي يَكيدُ يدبِّر ويمكُرُ ولا يُظْهِرُ كيدَه حتى يأتيَ الوقتُ، ويتمُّ التدبيرُ على ما أراد، ويكونُ عجيبًا شديدًا، وكلُّ ما في القرآن من الكَيْدِ فهو بمعنى التدبيرِ المحكمِ الشديدِ وتنفيذِه[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ومن تَناهِي عداوةِ هؤلاء المنافقين من أهلِ الكتاب، وحسدِهم لكم، وسوءِ طويَّتِهم تُجاهَكم أنَّكم - أيها المؤمنون - إن نَزَل بكم أمرٌ حسنٌ مِن نصرٍ وغنيمةٍ ظهرَتْ عليهم الكآبةُ والحزنُ، فيحسدونَكم على أدنى ما نالَكم من خيرٍ ومنفعةٍ، وإن وقعَ بكم مكروهٌ من هزيمةٍ أو نقصٍ في الأموال والأنفس والثمراتِ فَرِحوا وشَمِتوا بما أصابَكم، وإن تصبروا على ما أصابَكم وعلى عداوتِهم، وتتقوا اللَّه فيما أمركم به ونهاكم عنه، ومنه عدمُ اتِّخاذهم أولياءَ، لا يضرُّكم أذى مكرِهم وما يدبِّرونه لكم من المكايد؛ بفضل اللَّه وحفظِه الموعودِ للصَّابرين والمتَّقين. واللَّهُ محيطٌ بجميعِ ما يعملُ هؤلاءِ الكفارُ من الفساد، واقفٌ على دقائقه وغالبٌ على أمره، وسيجازيهم على ذلك[4].

---

(1) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ينظر: ابن الجزري، النشر: 2/280.

(2) الخليل، العين، والزّمخشريّ، أساس البلاغة، والرّازي، مختار الصّحاح، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (سوأ).

(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والزّمخشريّ، أساس البلاغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (كيد).

(4) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 1/319، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/35، والموصلّي، أولى ما قيل: 2/531، ونخبة من العلماء، التفسير الميسر، ص: 65.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دِلَالَةُ الاِسْتِعَارَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾:

مَحَبَّةُ وُقُوعِ الضَّرَرِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ شَأْنُ الْمُنَافِقِينَ

زاد اللّه تعالى كشفًا لما في صُدُورهم بقوله: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ أي: تُصِبْكُم حسنةٌ، والمسُّ: الإصابة، ولا يختصُّ أحدُهُما بالخَيْرِ، والآخر بالشَّرِّ، فالتَّعبير بأحَدِهما في جانب الحَسَنَةِ، وبالآخَرِ في جانبِ السَّيِّئة: تفنُّنٌ في التَّعبير(1).

والمسّ مستعارٌ لِمَعْنَى الإصابة(2)، فكان المعنى واحدًا، ألَا ترَى إلى قوله: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ [التّوبة: 50]، وقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النّساء: 79]، وقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج: 20 - 21](3).

وقال ابنُ عَطِيَّة: "ذكر اللّه تعالى المسَّ في الحسَنَةِ لِيُبَيِّن أنّ بِأَدْنَى طُرُوءِ الحسنة تقَعُ المساءَةُ بِنُفُوسِ هؤلاء المُبْغِضين، ثُمَّ عادَلَ ذلك في السّيِّئَةِ بِلَفْظِ الإصابَةِ، وهِيَ عِبَارَةٌ عَنِ التّمكُّن؛ لأنّ الشّيء المُصيبَ لِشَيْءٍ هو مُتَمَكِّن مِنْهُ أو فيه، فدلّ هذا النّوعُ البَلِيغُ على شِدَّةِ العداوَةِ؛ إذْ هُوَ حِقْدٌ لا يَذْهَبُ عندَ نُزُول الشّدائد، بَل يَفْرَحُون بِنُزُول الشّدائد بالمُؤْمِنين"(4).

وذكر أَبُو حَيَّان أنّ في قوله: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ استعارةً، فشُبِّه حصولُهما بالمسِّ والإصابَةِ، وليس هُوَ من باب تشبيهِ المَعْقُولِ بِالمَحْسُوس، بل هو من بابِ الاِسْتِعَارَةِ التَّصْرِيحِيَّة(5)؛ إذْ حُذِفَ المُشَبَّهانِ وصُرِّحَ بالمشبَّهِ بهما.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/68.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/35، والزّمخشريّ، الكشّاف: 1/407.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/407.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/496.
(5) أبو حيان، البحر المُحيط: 3/324.

نُكْتَةُ الاِسْتِعَارَةِ فِي التَّعْبِيرِ بِالْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ:

شِدَّةُ حَنَقِ أَهْلِ الْبَاطِلِ عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ

(الْحَسَنَةُ) وَ(السَّيِّئَة) في قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ يُرادُ بهما: ما يَحْسُنُ عِنْدَ صَاحِبِها أَوْ يَسُوءُ، ولَيْسَ الْمُرَاد بِهِمَا هنا المعهودَ في خطاب الشَّرعِ[1]، فَاسْتُعِيرَتَا لِلدِّلالة على النَّصْرِ أَوِ الْخِذْلَانِ ونحوِهمَا؛ تنبيهًا على أثرِهمَا، وأنَّ منشأَ كَراهةِ أهل الباطِلِ إنَّما هو حصولُ الحُسْنِ في نفُوس المؤمنينَ أيًّا كان سببَه.

دِلَالَةُ الْمُقَابَلَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾:

ازْدِيَـــادُ فَـرَحِ الْمُبْطِلِينَ بِازْدِيَادِ الـضَّـرَرِ الْـوَاقِـعِ عَـــلَى أَهْـــلِ الْإِسْلَامِ

الْحَسَنَةُ في قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾: مَا يَسُرُّ مِن رخَاءٍ وخِصْبٍ ونُصْرَةٍ وغَنِيمَةٍ، ونَحْوِ ذلكَ مِنَ المنافِعِ، والسَّيِّئَةُ ضِدّ ذلك[2]، وقد بيّن اللّه تعالى بِذَلِكَ فَرْطَ عداوتِهم فَيَسُوؤُهُم مَا نال المؤمنين مِنَ الخَير، ويَفْرَحُون بِمَا يُصِيبُهم مِنَ الشِّدَّة[3]، وقَابَلَ الْحَسَنَةَ بالسَّيِّئَة، والمساءَةَ بالفَرَح؛ وهي مقابلةٌ بَدِيعَةٌ.

وعُبِّر في جانب السَّيِّئَةِ بالإصابة ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾، ولم يَرِدِ النَّظْمُ القرآنيُّ بـ: (تَمْسَسْكُمْ)؛ لِيَكْشِفَ عَن عَمِيقِ غِلّ نُفُوسِهم؛ فَإِنّهم يُسَاؤُونَ مَعَ أَدْنَى حَسَنةٍ وأقلِّهَا، ويَفْرحُون معَ مَا يُصِيبُهُم مِن ضُرٍّ، ويَزْدَادُ فَرَحُهُم بِذَلِكَ.

نُكْتَةُ تَنْكِيرِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿حَسَنَةٌ﴾ و﴿سَيِّئَةٌ﴾ في قولِهِ تعَالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/68.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/407.
(3) أبو حيان، البحر المُحيط: 3/322.

مِـــنْ طُـــرُقِ التَّـفْـسِيرِ عِـنْـدَ السَّلَفِ تَفْسِيرُ الْأَلْـفَـاظِ بِالْمِثَالِ الْمُـنْـدَرِجِ تَحْتَ عُمُومِهَا

حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ لإفادةِ العموم؛ لأنَّهما نَكِرَتانِ في سياق الشّرط، والعمومُ ههنا بدَلِيٌّ لا شموليٌّ؛ لتعذُّر اجتماع كلِّ حسنةٍ في فردٍ أو أفرادٍ، ومثلُ ذلك يُقال في السَّيِّئَةِ.

ولَمْ تَرِد اللَّفْظَتانِ معرفَتَيْن؛ لئلَّا يُوهِمَ ذلك التَّعيينَ بالْعَهْدِ، أو يوهِمَ العمومَ الشّموليَّ بحَمْلِ اللَّام على الجِنْسِ.

وقد تنوَّعت عباراتُ المفسّرين في مَعْنَى الحَسَنَةِ والسّيّئة؛ فقال قتادةُ وغيرُهُ: الحسنَةُ بِظُهُورِكُم عَلَى العَدُوّ، والغَنِيمَةِ مِنْهُم، والتّتابع بالدُّخول في دينِكم، وخِصْبِ معَاشِكم، والسّيئةُ بِإِخْفَاقِ سَرِيَّةٍ مِنْكُم، أو إصابةِ عُدُوٍّ مِنْكُم، أو اختلافٍ بينَكُم، وقال الْحَسَنُ: الحسنةُ الْأُلْفَةُ واجتمَاعُ الكَلِمَةِ، والسّيِّئَةُ إصابَةُ العَدُوّ واخْتِلَافُ الْكَلِمَة، وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: الحسنَةُ النِّعمة، والسّيئة المُصِيبَةُ، وهذه الأقوالُ هِيَ عَلَى سَبِيلِ التّمثيلِ لا التّعيين[1]، كما هو المعْرُوف مِن طَرِيقَة السَّلف في التَّفسير؛ فإنَّهم يُفَسِّرُون بالمثالِ في كثيرٍ مِن آيِ القُرْآنِ الْكَرِيمِ.

دِلَالَةُ نَفْيِ الضُّرِّ دُونَ نَفْيِ الْأَذَى فِي قَوْلِهِ: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾:

إِذَا انْتَفَى الضَّرَرُ الْأَعْظَمُ؛ كَانَ انْتِفَاءُ الْأَخَفِّ مِنْهُ هَيِّنًا

أَرْشَدَ اللهُ تعالَى المُؤْمِنينَ في قوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ إلى كَيْفِيَّة تلَقِّي أَذَى العَدُوِّ؛ بِأَنْ يَتَلَقَّوْهُ بالصَّبْرِ والحَذَرِ، وعُبِّرَ عَنِ الحَذَرِ بالاتِّقاء، أي: اتِّقاء كَيْدِهم وخِداعِهم، وقوله: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾، أي: بِذَلِكَ يَنْتَفِي الضُّرُّ كلّه؛ لأنّه أثبت في أوَّل الآي أنَّهُم لا يَضُرُّون المؤمنين إلَّا أذًى، وَالأذَى: ضُرٌّ خَفِيف، فلمّا انتفى الضّرُّ الأعظَمُ الذي يُحْتَاجُ في دَفْعِه إلى شَدِيد مُقَاوَمَةٍ؛ مِنْ قِتَالٍ وحِرَاسَةٍ وإِنْفَاقٍ؛ كانَ انْتِفَاءُ ما بَقِيَ مِنَ الضُّرّ هيّنًا، وذلكَ بالصّبر عَلَى الْأَذَى، وقِلَّة الاكْتِرَاث بِهِ، مع الحَذَرِ مِنْهُمْ أَنْ يَتَوَسَّلوا بذلك الأذَى إِلَى مَا يُوصِلُ ضُرًّا عَظِيمًا[2]، وقد قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "لَا أَحَدَ أَصْبَرُ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/322.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/68.

عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ ﷻ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ"[1].

دِلَالَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾:

تَكَامُلُ الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى فِي دَفْعِ الضَّرَرِ

قال ابنُ عبَّاسٍ في قوله تَعَالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾: وإنْ تَصْبِرُوا على أذاهُم، وتتّقوا اللّه، ولا تَقْنَطُوا، ولا تَسْأَمُوا أذاهُم وإن تَكَرّر، وقال مُقاتِلٌ: وإن تَصْبِرُوا على أمرِ اللّه، وتتّقوا مُبَاطَنَتَهُم، وذُكِرَ في تعيينِ متعلّق الْفِعْلَيْنِ - الصَّبْرِ والتَّقْوَى - غيرُ هذينِ القولين.

ولَمْ يُذْكر متعلَّق الصّبر ولا مُتَعَلَّق التّقوى، ولكنّ الصّبرَ لَمَّا كان حَبْسَ النَّفْسِ على الْمَكْرُوهِ، والتّقوى اتِّخَاذَ الْوِقَايَةِ؛ حَسُنَ أن يُقَدَّرَ المحذوفُ مِن جِنْسِ مَا دلّ عليه لَفْظُ الصَّبر ولَفْظُ التّقوى.

وفي هذا تَبْشِيرٌ لِلْمُؤْمِنين، وتَثْبِيتٌ لِنُفُوسِهِم، وإرشَادٌ إِلَى الاسْتِعَانَةِ عَلَى كَيْدِ العدوِّ بالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى[2].

دِلَالَةُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾:

إِحَـاطَـةُ اللهِ تَعَالَى بِالْخَلْقِ عِلْمًا وَقُدْرَةً

قوله: ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: إذا قَصَرْنَا الإحاطَةَ على المَعْنَى الحسِّيِّ؛ كان في الآية اسْتِعَارَةٌ، إذْ قد شُبِّهَ شمولُ علم اللّه تعالى وقُدْرَته عَلَيْهِمْ بإحاطة المُحِيط بما أحاطَ بِهِ، على طريقةِ الاسْتِعَارَةِ التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، والجامع بين المَعْنَيَيْنِ: استِحَالَةُ الفَوْتِ في كِلَيهما.

وهذا القولُ قَد يكُون ظاهرُ مَعْنَاهُ مقبولًا، إلَّا أنَّهُ يُشْكِلُ عَلَيْهِ حَمْلُ وصفٍ مِن أوصَافِ اللّهِ تَعَالَى على الاسْتِعَارَةِ - وهي ضربٌ مِنَ المجَاز -، مع اتِّفاق كلمة السَّلَفِ على عدم جَوَازِ إِجْرَاء شيءٍ من ذلكَ عَلَى الْمَجَازِ[3].

(1) رواه البخاري في صحيحه، الحديث رقم: (6099)، ومسلم في صحيحه، الحديث رقم: (2804) واللَّفْظُ له.

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/323.

(3) ابن عبد البرِّ، التَّمهيد: 7/145.

ولا مانعَ مِن حملِ الإحاطة على مَعَانٍ أوسعَ، فتشمل الإحاطةَ الحسِّيَّةَ، وإحاطةَ العلم والقدرة، كما ذَكَرَهُ أهلُ العلم تَفْسِيرًا لِاسْم الله (المحيط)، وخُرُوجًا مِن حمل اللَّفْظِ على شيءٍ يتعلَّق بالمجاز[1].

دِلَالَةُ تَقْدِيمِ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾:

قُدِّم الجارُّ والمَجْرُورُ ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ على متعلَّقِهِمَا ﴿مُحِيطٌ﴾؛ لقَصْدِ الاهْتِمَام بِمَا يُقَدِّمُونه مِنَ الأعمالِ التي تَسْتَحِقُّ العقوبةَ، وَاللهُ عليمٌ بأعْمَال النّاس جميعًا صالِحِها وسيِّئِها، لَكِن اخْتُصَّت هنا أعمالُ المُنَافِقِين والكُفّار؛ لِمَا فيهَا مِن السُّوءِ والشَّرِّ والفسادِ.

عِلْمُ اللهِ تَعَالَى بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ يَقْتَضِي الْعُقُوبَةَ عَلَى سَيِّئِهَا وَالْإِثَابَةَ عَلَى حُسْنِهَا

والجملةُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ خبريَّةٌ يُرادُ بها التَّحذير والتَّهديدُ، فهي مجازٌ مرسلٌ مركَّبٌ.

تَوْجِيهُ الْقِرَاءَاتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾:

القراءة ﴿يَعْمَلُونَ﴾ مِنْ قَوْلِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ بالياء؛ وهي على معنَى الوعيد والتَّهديد، فإنَّه إذا كان محيطًا بهم علمًا وقدرةً؛ فهو أقدرُ على عُقوبتِهم علَى قبيحِ أفعالهم.

التَّكَامُلُ الدَّلَالِيُّ لِلْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

وقرأ الحسنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ بالتَّاءِ (تَعْمَلُونَ)[2]؛ وهو على الالتفاتِ من الغَيْبَةِ إلى الخطابِ، وهو خطابٌ للكفَّارِ، ونكتَتُهُ: المبالغةُ في التَّهديد وإدْخَالُ المهابَةِ على قلوبهم، ويحتَمِلُ أن يكون على إضْمَارِ (قُلْ)، والتَّقدير: قُل لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ، أو أنَّهُ خِطَابٌ لِلْمُؤمنين تَضَمّن تَوَعُّدَهُمْ في اتِّخاذ بِطَانَةٍ مِنَ الكفّار[3].

بَلَاغَةُ اللَّفِّ وَالنَّشْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾:

في الآية الكريمةِ لفٌّ ونشرٌ، فقوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ

(1) القحطانيّ، شرح أسماء الله الحسنى، ص: 96 - 97.
(2) وهي قراءة شاذة، ينظر: الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر: 228.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/323.

مِـــنْ أَعْـظَـــمِ الْأَسْبَابِ الْمُعِينَةِ عَـلَى تَقْوَى اللهِ تَعَالَى الصَّبْرُ

﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ لَفٌّ أو طَيٌّ، وجاء النّشرُ على عكسِه، وذلك في قوله: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾، أي تَصْبِرُوا على السَّيِّئَةِ التِي أَصَابَتْكُم، وتتّقوا اللّه في الحَسَنَةِ التِي مَسَّتْكُم؛ ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾، لأنّهم في كلا الحَالَيْنِ يَكِيدُونَ لَكُم، فلا يضرّكم كيدُهم شيئًا معَ صَبْرِكُم على البَلْوَى وتَقْوَى اللّه فيما أَصَابَكُم مِنَ الخَيْرِ.

وقُدِّمت الحسنَةُ في اللَّفِّ؛ لكونِهَا من مَحْبُوباتِ النُّفوس، وجاءَ النَّشْرُ على غير ترتيبِ اللَّفِّ؛ إظهارًا لأهمِّيَّةِ الصَّبْرِ، لكونِهِ سببًا في تحصيلِ التَّقْوَى.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»